

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور محمد زهير مشاركة نائب رئيس الجمهورية
ممثل راعي الحفل الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.
السادة أعضاء القيادة - السادة الأمناء العامون لأحزاب الجبهة الوطنية
التقدمية، وأعضاء القيادة المركزية فيها.
السادة الوزراء - السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي.
السادة العلماء الأجلّة - أيها الحفل الكريم.
أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحّب بكم أجمل الترحيب وأتمنّه،
وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لنحتفي بافتتاح ندوة:

المعجم العربي

ومن تمام الشكر أن أصفى الثناء الأساتذة العلماء الوافدين المشاركين
الذين تجشموا عناء السفر وبُعد الشقّة. قدموا إلينا يملأ قلوبهم حبّ العربية،
والسعي الدائب لجعلها وافيةً بمطالب العصر، فأهلاً بهم أساتذة كراماً، ووافدين
أعزّة، ولينزلوا على الرّحب والسعة في بلدهم الشقيق.
وندوتنا اليوم حلقة في سلسلة الندوات التي والى المجمع عقدها في
السنوات الماضية، والتي عالج فيها موضوعات تناولت قضايا أساسية في العربية

كان لابد من دراستها، وتقديم الحلول لمشكلاتها، نهوضاً بمهامه التي ناطها به قانون المجمع وأبرزها:

«المحافظة على سلامة العربية، وجعلها وافيةً بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة. ووضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها».

ويحتل المعجم منزلة سامية في حياة اللغة، والحفاظ على سلامتها، والعمل على نشرها.

إنه يلبي رغبة الباحث المتعمق، والمتقف الدارس، والطالب الناشئ، يقدم لهم جميعاً التفسير الدقيق المحدد لما يغمض عليهم من ألفاظ، ويقربها إليهم واضحة جلية، فتغني بذلك ثروتهم اللغوية، ويصبحون أقدر على التعبير عن المعاني التي تخالجهم، والخواطر التي تراودهم، ويتعرفون على صفحاته ألفاظ الحضارة العصرية، والمصطلحات العلمية الشائعة، ويلتصون بمعانيها إماماً دقيقاً. «فالمعجم، بحق، أداة بحث، ومرجع سهل المأخذ».

ومن هنا دأبت الأمم على العناية بتأليف معجماتها العناية البالغة، ورفدتها المؤسسات اللغوية العلمية والمجامع بكل ما يغنيها من ثروة في الألفاظ والأساليب والمصطلحات لتظل اللغة ابنة عصرها، طاقةً متجددة، تواكب مرحلتها، وتلبي ما يراد منها، وتعبّر عن مسيرة الحياة المتطورة أبداً.

ويحسن بي أن أشير هنا إشارة موجزة إلى تنبّه أسلافنا العرب في مرحلة مبكرة من حضارتهم لما للمعجم من شأن بعيد في حفظ اللغة، وسلامتها، وإذاعتها. كان ذلك حين واجهوا في بدء نهضتهم اللغوية والعلمية في القرن

الثاني المهجري مثل هذه الحاجة الملحة، فشمروا عن ساعد الجد، وبدّر العالم العبقري الخليل بن أحمد فوضع كتاب العين، فكان السابق المبرّر الذي فتح الأبواب المشرعة، وتتالى العلماء والباحثون يضعون الخطط لتأليف المعاجم فطوّروها ونوّعوا فيها بما يليّ حاجات عصرهم العلمية والأدبية، وتناول التنوع معجمات الألفاظ ومعجمات المعاني بكل تشعباتها.

ولو ألقينا نظرة إلى ما وضعه علماؤنا العرب في تلك المرحلة الحضارية لبهرتنا كثرة المعاجم كماً ونوعاً.

ثم واجهت بلادنا من بعد حملات الفرنجة، وغزوات المغول والنتز المدمرة، فتوقفت فيها حركة الإبداع أو كادت. واكتفت بحفظ التراث العظيم وجمعه، والتأليف على غراره. وظهرت الكتب الموسوعية الجامعة في هذا العصر وألّفت في تلك المدة طائفة من المعجمات الشهيرة وشروحها، مثل لسان العرب لابن منظور الذي ضمّ خمسة معاجم، والقاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

ويحدثنا الأستاذ الشرقاوي إقبال في كتابه معجم المعاجم أن ما أحصاه من المعاجم التراثية دون سواها قد بلغ ألفاً وأربع مئة كتاب، صنّفها لتنوعها في تسع مجموعات، يجد فيها كل باحث بغيته وطلّيته. ومن الحق أن صاحب معجم المعاجم قد توسع في معنى المعجم فضمّ إليه ألواناً من الكتب التي تناولت جوانب مختلفة من اللغة. فهو يقول: «تجاوزت كثيراً في كلمة معجم فأوقعتها على كل كتاب احتوى مفرداتٍ مشروحةً لغوياً...».

٢

ولما انبعثت النهضة العربية الحديثة كان من أبرز ما قام به دعاؤها ومفكروها نشر التراث العربي، والاهتمام بالمعاجم التي أولوها عنايتهم، فطبعوا جملة صالحة من معاجم التراث بنوعيتها: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ثم التفتوا إلى تأليف المعاجم. وقد حاولوا أن يتجنبوا المصاعب والمآخذ التي وجهها النقاد إلى المعاجم القديمة، وأن يقدموا معاجم تستجيب لمتطلبات العصر الحديث، وبذلوا جهوداً طيبة في تيسير عباراتها، وتقريب بعيدها، وابتعدوا عن الحوشي والغريب، وأحلّوا محلّه اللفظ القريب، ولكنهم لم يمشوا بعيداً في هذا الطريق.

لقد تقدمت المعاجم خطوات، ولكنها ظلت في حركتها الإصلاحية أبطأ مما فُدر لها، واقتصر التأليف فيها على جهود فردية.

وما جاء النصف الثاني من القرن العشرين حتى تبدل الحال، وسارت حركة تأليف المعاجم خطوات ناجحة. ومن أبرز الكتب التي ظهرت معجم العاليلي، ومعجم متن اللغة لأحمد رضا الذي ظهر في خمسة مجلدات (١٩٥٨-١٩٦١م)، والمعجم الوسيط (١٩٦٠-١٩٦١م).

ويُعدُّ المعجم الوسيط نموذجاً فريداً بين المعاجم العربية الحديثة. إنه معجم لم ينهض به عالم واحد، بل وُكِّلَ بمجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم وسارت اللجنة في عملها «مسترشدةً بما يقره مجلس الجمع ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة، أو مصطلحات جديدة» حتى ظهر في حُلته القشبية.

وكان صدوره إيداناً ببدء مرحلة جديدة في حركة تأليف المعجم العربي الحديث «فقد جاء محكم الترتيب والتبويب، ميسر الشرح، دقيق التعاريف، يمتُّ إلى الماضي بصلة وثيقة، ويعبّر عن الحاضر أصدق تعبير». ويشمل على ٣٠ ألف مادة، و ٦٠٠ صورة للإيضاح، ويقع في جزأين كبيرين.

ورغب الناس في المعجم الوسيط وأحبوه وأطالوا الحديث عنه، وعُني به النقاد، فأشادوا بجوانبه المشرفة، ودلوا على هناتٍ قليلة وقعت فيه. وطبع حتى اليوم ثلاث طبعات (١٩٦٠، ١٩٧٢، ١٩٨٥م) منقحة بإشراف المجمع. ولكنه طبع أيضاً طبعات أخرى نزلت إلى الأسواق، ومنها طبعة قامت بها دار الدعوة باستانبول (تركيا).

وقد بعث ظهور المعجم الوسيط الثقة في النفوس، وتطلع الناس بشوق لمتابعة العمل وتحويده. ومازلنا نطمح إلى المعجم الأكمل. واستخرجت لجنة المعجم من المعجم الوسيط معجماً صغيراً يلبي حاجة الناشئة سمتة المعجم الوجيز.

كذلك فقد أخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة على عاتقه أيضاً «وضع معجم شامل يستوعب اللغة في مختلف عصورها»، وسماه المعجم الكبير، وهو عمل ضخم طموح يستغرق إنجازه سنوات وسنوات. صدر جزؤه الأول عام ١٩٧٠م، ثم صدرت بالتالي أربعة أجزاء أخرى. وكان صدور الجزء الخامس عام ٢٠٠٠م. وتناولت أجزاءه الخمسة الحروف الهجائية من الألف حتى حرف الحاء، والأمل معقود أن يتابع المجمع عمله لينجز هذا المعجم الكبير الجامع الحافل الذي يعد ذخيرة نفيسة من الذخائر.

٣

إننا اليوم وعصرنا عصر تدفق المعارف والمعلومات في أشد الحاجة للعودة إلى دراسة المعجم العربي، وتبين واقعه لننتقل إلى رسم صورة المعجم الحديث الذي نتشوف إليه ليأتي ملبياً لحاجات العصر المتجددة، وسرعة إيقاعه، مستهدين بأحدث ما انتهت إليه تجارب العلماء في أساليب تأليف المعاجم، مستأنسين في خطواتنا بخصائص العربية وطبيعتها الاشتقاقية، ومستفيدين من الأعمال الناجحة التي سبقت والتي قام بها العلماء الأعلام والمجامع اللغوية، والمؤسسات اللغوية العلمية.

لقد قدمت ندوتنا للأساتذة الباحثين المشاركين محاور طرحت فيها أنماطاً مختلفة لمشروعات معجمية رأت أنها من متطلبات الحركة العلمية التي تتسع يوماً بعد يوم.

وسأتوقف وقفهً خاطفةً عند محورين منها:

أحدهما: ضرورة وضع معجم عربي شامل يلبي الباحثين في هذا العصر.

والثاني: المعجم المدرسي.

إن وضع معجم عربي شامل يلبي حاجة الباحثين ويستجمع شروط المعجم الحديث يأتي في مقدمة ما يحسن أن نسعى إليه. لقد آن الأوان أن يكون للعربية معجمها العربي الشامل الذي ينال ثقة المجامع والمؤسسات اللغوية العلمية، والعلماء الأعلام، ويوازي في دقته ومنزلته والثقة به المعاجم العالمية.

وليس أمامنا إلا التصميم والعزم، وإلا تكاتف الجهود في مختلف المؤسسات اللغوية وتعاونها، والعمل الدؤوب المتواصل، لا ملل ولا سأم، حتى نبلغ هدفنا المرسوم بعد سنوات من الكد والمتابعة، يكمل بعضنا بعضاً، ويتم

لاحق ما بدأ به سابق. وليس أمامنا إلا هذا الطريق ليظهر المعجم العربي الحديث، ويكون المرجع الثقة يثقل إليه الباحثون والدارسون ليجدوا بغيتهم دون عناء، وليطمئنوا تمام الاطمئنان أنهم أصابوا كبد الحقيقة. وإذا أعددنا مثل هذا المعجم سهل علينا أن نشقق منه معجمات مختلفة حسب الحاجة.

أما عنايتي بالمعجم المدرسي فترجع إلى ما لاحظته من عزوف كثير من طلابنا عن مراجعة المعجم، وهذا نقص كبير نعاني منه، ويجب علينا أن نعمل جميعاً في مؤسساتنا التربوية والتعليمية أن يكون المعجم صديق الطالب يصاحبه دائماً، ويعود إليه كل حين، مما يجب إليه اللغة، ويغني ثروته من الألفاظ، فيصبح أقدر على تأدية مراده من المعاني، كما أن المعجم هو المسعف المساعد في فهم النصوص التي يقرأها الطالب فيفسر له ما استعصى عليه من المطالب اللغوية.

وأملني أن نقدم لطلابنا معاجم تلائم دراساتهم في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم في المرحلة الجامعية، وأن نساعدهم ونحضهم على الرجوع إليها حتى يعتادوا ذلك ويألفوه، فإذا خرجوا إلى الحياة العامة ظل المعجم صديقهم وأنيسهم يعودون إليه ويفيدون منه.

ليس من همي أن أتحدث عن صفات المعجم الشامل والمعجم المدرسي، فهذا رهن بما تنتهي إليه الندوة بعد أن تناقش جميع الموضوعات المطروحة في محاورها، وتصدر توصياتها.

وإننا لتتطلع إلى ندوتنا بملؤنا التفاؤل والأمل أن يُغني علمائنا الأجلة ببحوثهم التي تقدموا بها إلى الندوة، وبما يُصاحبها من تعليقات ومناقشات،

الصورة المثلى التي يقترحونها، والطريقة العملية التي يحسن أن نتبعها لإنفاذ توصيات الندوة وخططها المرتقبة.

والنية أن نبسط التوصيات والخطط التي تتطلب المشاركة العربية على اتحاد الجامعات اللغوية العربية توطئة لمشاركة الجامعات العربية في الوطن العربي والمؤسسات العربية العلمية في هذه المهمة الكبيرة

* * *

من تمام القول أن نرفع أسمى آيات الشكر والثناء إلى السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل برعاية الندوة، إعزازاً للعربية المبينة التي حاطها برعايته وعنايته، وشجع على الاهتمام بها.

ومن مآثره الكريمة إصدار قانون المجمع الجديد (رقم ٣٨ تاريخ ٦/٦/٢٠٠١م)، فأسدى يداً لا تنسى، وهياً المجمع لنشاط أوسع في خدمة العربية، وطننا الروحي الذي نسكن إليه، وتتشبث به.

أيها الحفل الكريم

أعود فأشكر لكم تفضلكم بالحضور، وأرجو لندوتنا أن تكلل بالنجاح والتوفيق، وأن تكون توصياتها مرتكزاً أساسياً فيما نتطلع إليه من عناية بالعربية، وحرص على سلامتها وازدهارها.